مصر الجريحة(*)

ليلٌ تلألأَ فيه نجمٌ يلمعُ ... وبهِ الرياضُ عبيرُها يَتضَوَّع
سكنَ الوجودُ سوى النسيمِ فإنه ... ما انفكَّ يخفضُ في الغصونِ ويرفع
تَترنَّحُ الريحُ الرُّخاء كأنَّها ... ثَمِلٌ بأكواب المُدامةِ مُولَعُ
والبدرُ أرسلَ مديةً من ضوئه ... تجتثُّ أعوادَ الظلامِ وتَقطع(١)
تلكَ الطبيعةُ في بديعِ روائها ... تنفي الكرى عنْ مقلتيَّ وتَدْفع
يا للجمالِ ويا لِروعةِ مِشيتي ... بينَ الرياضِ بحسنِها أتمتَّع
أنَّى توجَّهَ ناظراي يشاهدا ... سحراً يمسُّ النفسَ، جلَّ الصانعِ
ما راعني في الليل إلا أن أرى ... شَبَحاً بأثوابِ الدُّجى يتلفَّع(٢)
يمشي الهوينى شاكياً فكأنَّهُ ... صبٌّ بساعاتِ الرحيل يودِّعُ(٣)
فدنوتُ منهُ محاذراً فإذا بهِ ... حسناءُ أنهكها الأنينُ المُوجِعُ
فهتفتُ ما بال الفتاةِ أرى لها ... قلباً يفيضُ أسى، وعيناً تدمعُ
من أنت يا أختاهُ؟ قالتْ: يا فتىً ... إنيّ أنا «مصرُ» التي تتوجع
أبكي على مجدي وأندبُ عزتي ... هذانِ فقدُهما مصابٌ مُجزِعُ(٤)

(*) يوليه - يتموز - ١٩٥١.

(١) المدية : الشفرة، واستعملها الشاعر هنا بشكل مجازي وكأنه يذكرنا ببيت لابن المعتز.

(٢) تلفع : اشتمل - تلفعت المرأة بمرطها والتفعت: اشتملت.
الدجى : الظلام.

(٣) الصب : المحب كثير الشوق.

(٤) المجزع : من جزع : خاف : وهي ضد الصبر.

يا ويحَ قومي قد أضاعوا دينهم ... فإذا بهم شعبٌ ذليلٌ خانِع
ولو اهتدوا رشداً لظلوا سادةً ... ولهمْ من القرآنِ حِصنٌ أمنَعُ
تاللهِ ما اتَّقتِ الممالكُ بأسنا ... إلا ونحنُ بهديهِ نتدرَّعُ[1]
كلّا ولا هانَتْ لديهم ريحُنا ... إلا وهديُ اللهِ منا ضائِعُ
فالأغنياءُ قلوبُهم مسودَّةٌ ... لم يبقَ فيها للتراحُمِ مَوضِع
شغلَتهُمُ الأهواءُ عن ذي قلة ... لا عاش ذو مالٍ يضنُّ ويمنع[2]
والناسُ قدْ ضلوا الطريقَ فراعني ... في كلِّ يومٍ للفضيلَةِ مَصرَع
نادَيتُها: نفسي فداؤُك لا البُكا ... يجدْي ولا طولُ التَّفَجُّعِ ينفَع
فيمَ الأنينُ وأنتِ قرةُ أعينٍ ... باتتْ إلى نيلِ العُلا تَتَطَلَّع
إن كانَ ساءَكِ أنَّ أرضكِ قد غدت ... مَرعى بِهِ ذئبُ الغوايةِ يرتَعُ
فهناكَ جندٌ قامَ يسعى جاهداً ... في الدِّين يقتلعُ الفساد وينزعُ[3]
اللهُ أكبرُ في الحياةِ نداؤُه ... يمئي بها نحو الخلودِ ويُسرِع

* . * . * . * . *

أللهِ درُّ القومِ إنَّ نفوسَهم ... لتَشِعُّ بالحقِّ اليقينِ وتَنبُع
سُلَّت سيوفُ البغي فوقَ رؤوسهم ... وأمضَّهم كأسُ العذابِ المترَعُ[4]
فتحملوا ألمَ الأذى ببسالةٍ ... وبهمةٍ قعساءَ لا تَتَضعضَعُ[5]
ولو اطَّلعتَ لدى العناءِ عليهم ... لرأيتَ ما يُدمي الفؤاد وينزِع

---

(١) نتدرع : أي كأننا نلبس الدرع لنتقي به من كل خطر.
(٢) ذو القلة : الفقير المعدم.
(٣) يقصد بذلك حركة الإخوان المسلمين التي كان لها أثر في ذلك الوقت.
(٤) أمض : أوجع ، المترع: من ترع لإناء، إذا امتلأ، الممتلىء.
(٥) قعساء من قعس، رجل أقعس وبه قعس هو دخول الظهر وخروج الصدر. وتقاعس الرجل : أخرج صدره. والمقصود بالهمة القعساء البارزة.

ففتى العقيـدةِ مُثخَنٌ بجراحـهِ ... والشيخُ يُضربُ بالسياط ويقرعُ[1]
ولقـد أذاقَهمُ الـطُّغـاةُ من الأذى ... لـوناً يشيبُ لـه الـوليـدُ ويَهلعُ
لكنَّمـا الـظلمـاءُ يتلوهـا ضُحى ... والليـلُ يَعقُبُـهُ ضيـاءٌ سـاطِـعُ
والحقُّ بـالنصـرِ المبين مُتـوَّجٌ ... أبـداً وإن كثُـر البـلاءُ الـواقـع
مَهـلاً لَعمري إنَّ جنـدَ «محمـدٍ» ... لأعـزُّ من جنـدِ الضـلالِ وأرفَـعُ
لا يستـوي هـديٌ وبغيٌ إنَّمـا ... بينَ الهـدى والبغيِ فرقٌ شـاسع
قـالت: وتلكَ المبكياتُ أمـا لها ... يـا قـومُ عنـدكُم دواءٌ نـاجِـعُ؟
الجهلُ يضربُ في القرى أطنابَه ... والفقـرُ في شتى المنـازل يَقبـع
والأجـنـبـيُّ أمـا رآنـا دولـةً ... لا تنثني عنْ ضَعـفِهـا أو تُـقلِع
فسـطا علينـا شـرَّ سـطوٍ مثلمـا ... يسطو على الحِملانِ ذئبٌ جائعُ[2]
ويَحُـزُّ في نفسـي ويؤلـمُ أنَّنـا ... نلهـو وكيـدُ عـدوِّنـا لا يهجَـعُ
النيـلُ يُضنيـهُ الأسى فـإلى مَتى ... يا قومُ نـرضى بالهـوانِ ونَخضعُ
فـأجَبتُهـا أنْ لا يغُـرَّنْـكِ الـذي ... يبـدو من استسـلامنـا أو يَطمَع
إنَّ الـتصـبُّـر دأبنـا حـتـى إذا ... لم يبقَ في قـوسِ التصبُّرِ مَنـزع
ألفيتنـا أُسـداً يَـخـرُّ أمـامهـا ... عـزمُ الجبـابـرةِ العِـظام ويـركـعُ
أرواحنـا يومَ الجهـادِ لك الفـدا ... عَنْ بـذلها يـا مصر لا نتـراجـعُ

* . * . * . * . *

---

(١) إشارة إلى اضطهاد الشباب المسلم في كل عصـر.
(٢) الحمـلان : جمع حَمل ، وهو الخـروف.